الملامح المقاصدية في فكر الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم

أ.ياسمينة حروز
طالبة دكتوراه جامعة أدرار

ملخص:

يشكل الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم أيقونة مهمة في تاريخ الجزائر، فهو يصنف ضمن القامات والهامات الجزائرية والإفريقية والعالمية.وتتوالى الكتابات عنه بتناول فكره من كل المناحي، دينيا وسياسيا وأدبيا واجتماعيا وتاريخيا ودعويا ومقاصديا؛ليتجلى لنا مدى سعة أفقه وغزارة فكره، وإلمامه بكل صغيرة وكبيرة تعود على الفرد والمجتمع بالنفع.

وعن جانب التقصيد في فكره تتضح لنا عبقريته الفذة، فهو كعادته لا يلج ميدانا إلا يبرع فيه ويبهر الآخرين به. ذاك جانب من فكره لن تعمل هذه الصفحات على إعطائه حقه كاملا، بقدر ما تُجلي بعض الغبار عن جانبٍ من فكره ونبوغه، لأنه مهما قيل عنه فإن ذلك لن يوفيه حقه، فهو نادر أقرانه، ومولود عصره.

Résumé*:*

le professeur, Mouloud Qascim est une icône dans l'histoire de l'Algérie.Il est classé parmi l'élite algérienne africaine et mondiale. Les écrits perpétuent sa pensée sous tous les aspects (religieux- politique-littéraire...) afin dedémontrer le foisonnement, la richesse de sa pensée cernant tous les détails relatif au nombre de sa nation. En "Maquassid alchariaa"(les buts de la loi islamique), apparait son génie et son talentsans être fanatique, rigide dans ses pensées, il était plutôt l'homme de son temps. Les quelques mots n'arrivent pas à faire une description complète de l'homme, car toutcequ'on dit sur lui ne suffit pas à cernerle génie de sa pensée.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وبعد:

كلما أشرف شهر أوت على نهايته تسارع محبو مولود قاسم نايت بلقاسملإحياء ذكراه مغردين بمحاسنه ومكانته التي شغلها –ولايزال–؛ كونه الرجل المسلم العربي الأمازيغي الوطني المفكر المتدين اللغوي المؤرخ السياسي الاقتصادي الذي كان فريد عصره.

فيجتهدالمفكرون والباحثونبالملتقيات والندوات والمؤسسات كتابةً وإلقاءً عبر مختلف وسائل التبليغ، بإبراز جوانب من حياته ومآثره،وإسهاماته في إثراء المكتبة العربية والجزائرية.

مؤكّدين على مساعيه المخلصة في الدفاع عن هموم الأمة الإسلامية عامة والوطن الجزائري خاصة، واللغة العربية التي كان يوليها اهتمامه الكبير على وجه التخصيص.

فهو لم يكن فقط ذلك الرجل المتشبع بالأخلاق والمبادئ، بل كان أيضا رجلا عصاميًا مفكرًا وحكيمًا، له قراءته الخاصة للأشياء. إضافة لغزارة انتاجه وجودته، ومواقفه الشجاعة،وثورته المنتقدة الرافضة لكل استبداد واستدمار وإذلال وتبعية واضمحلال في الهوية.دون إغفالِلعلو همته وحسن طويته وإخلاصه وصراحته التي عُرف بها،ومحافظته على المواعيد واحترامه للوقت... .

وتتناول الدراسات الصادرة في حقه جوانب شتى من فكره كالجانب الديني والتاريخي والسياسي واللغوي والدعوي.

❖ وهنا يطرح**الإشكال:**

– هل كان الأستاذ ذا فكر مقاصدي؟

– وهل له آثار تثبت ذلك؟

هذا ما سأحاول بهذه الصفحات أن أحقق فيه، بالبحث عن جانب شغله الأستاذ بفكره، لم تلتفت له تلك المشاركات الصادرة في حقه، إنه جانب مراعاة المقاصد والتعليل، واعتبار المصالح، وعدم إغفال العقل في كل ما دعا إليه وعاش لأجله.

❖ وسيتم تناول ذلك في عناصر من هذه الصفحات، هي:

– لمحة عن حياة الأستاذ، وبعض آثاره.

– بيان مدى مراعاة الأستاذ مصالح الإنسان–الضرورية خاصة–بحفظ مقوماتِه وإرساء ثوابته.

– مراعاته للمقاصد الأخربالممثَّلة في مراعاة المعاني والقيم الإنسانية.

– خاتمة تبرز ما حققه البحث من نتائج.

1)– ترجمة الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم[1]:

هو مولود قاسم نايت بلقاسم بن محند أوسعيد بن علي؛ ولد في06 جانفي1927م/ 2رجب1345هـ، بقرية بلعيال من بلدية أقبو(بجاية).

بدأ مشواره الدراسي من مسجد قريته، بلعيال بآيتعباس، ثم واصله في تونس حيث التحق بجامعة الزيتونة سنة1946، في تلك السنة انخرط بحزب الشعب،ثم التحق بالقاهرة فكان الأول في دفعته.

وفي 1954 التحق بجامعة باريسوسجل للدكتوراه، لكن سرعان ما تخلى عن المشروع استجابةً لنداء الإضراب الذي دعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين،

1سيرته الذاتية مختصرة ودون إيراد تاريخ الوفاة كتبها الأستاذ بنفسه، انظر: محمد الصالح الصديق، خواطر وذكريات ومواقف وشهادات،

دارالأمل، ط2، ص15.

وانظر: يحيى بوعزيز، أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي لبنان،ط1995/01م، ص267–285.

– وهي تتكرر في مجلات وجرائد وكتابات كثيرة تتناوله بالدراسة.

وهذا دليل على دوره البارز في الثورة الجزائرية، إذ أنَّه سجل أكثر من مرة للدكتوراه في باريس والتشيك وألمانياوفي كل مرة يناديه الواجب الوطني فيعود مسرعا إلى أرض الوطن دون تحصيلها.

كما ساهم في مفاوضات إيفيان بإعداد المادة التاريخية للوفد الرسمي المفاوض، قصد التصدي لنوايا فرنسا الهادفة إلى فصل الصحراء عن شمال الجزائر.

وكان المجاهدون يطلقون عليه اسما ثوريا مميزا هو: "السّي بلقاسم الوطني".

وبعد الاستقلالعاد مولود قاسم إلى أرض الوطن وتقلَّد عدة مناصب منها: مدير بوزارة الشؤون الخارجية، ووزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ومستشار في الرئاسة. وكانمؤسسالمجمع اللغة العربية ورئيسها.

وقد أثبت في كل منصب تولاه ولاءه لهذا الوطن، وحقَّق في كل موقع نجاحات باهرة جلبت له عدة خصومات، ولم يعرف أنه استسلم في أي مرحلة من نضاله.

كان يتمتع بذكاء ووعي شديدين وبذاكرة خارقة للعادة، وبالأسبقية في تزويد القاموس العربي عامة والجزائري خاصة بمفردات مميَّزة، حيث كانت له مصطلحات لغوية ذائعة الصيت ولازالت تتردد ويستدل بها ك:"الزردة والهردة"، و"الاستدمار"، و"المركوبية"، و"المَحْدَكِيَّة" – كمرادف للمركوبية–، و"الجمود والهمودوالخمود"، و"النسخ والمسخوالفسخ"، و"الانفصالية"،وغيرها من التعابير الدالة على حذاقته وسعة أفقه اللغوي والثقافي.

كما كانيتقن خمسلغات عالمية يكتبويحاضر بها،وهي العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية والسويدية، وكانت له معرفة متفاوتة بأكثر من تسع أوعشر لغات أخرى.

ورغم جلوسه للدراسة في المدارس الأجنبية، إلا أنَّنا لا نجد ذلك التأثر الغربي كحال معاصريه، فعشقه الأول كان للغة العربية التي كان حريصا كل الحرص على أن تستعيد مكانتها ومركزها.

انتقل إلى رحمة الله تعالى في 27 أوت 1992م بالجزائر، عن عمر ناهز 65 سنة.

2)- آثاره:

- الجزائر(باللغة الألمانية)للتعريف بالجزائر وتاريخها لم يترجم.
- شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830م في جزئين.
- ردود الفعل الدولية على غرة نوفمبر.
- إنيَّة وأصالة.
- أصالية أم انفصالية.
- وعدد لا يحصى من المقالات والدراسات والمحاضرات في مجلات وطنية وعالمية بمختلف اللغات

لمتجمع ولم ترتبكلُّها.

- دون أن ننسى أنه مؤسِّس المجلة الأصيلة "الأصالة"، كما يعود له الفضل بعد الله تعالى في ملتقى

الفكر الإسلامي الذي نالت الجزائر شرف توليه بأرضها لسنوات عديدة.

3)- المقاصد في فكر الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم:

إن الحديث عن المقاصد عند الأستاذ قاسم، ليس كما الطريقة الكلاسكية بحصرها في ما دَرَج عليه الدارسون سيرا على خطى إمام الحرمين الإمام الجويني (419-478هـ)، من أنَّها تُعنى بحفظ الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

- وإنَّما نجدها في مراعاته لمصالح البشر بحفظ مقوماتِهم وإرساء ثوابتهم. فالأستاذ عُرفبفكره

الموسوعي، لما كان له من الانتاج الفكري الكثير والغزير في مجال التاريخ واللغة والثقافة والسياسة،

وقبلها المجال الديني الإسلامي؛ فقد عرف عنه الإشراف شخصيا على ملتقى الفكر الإسلامي مدة تزيد

على العشر سنوات، كما كان وزيرا مكلفا بالتعليم الأصلي والشؤون الدينية.

- وانطلاقا من أنَّ (المقاصد الكلية ليست إلا صياغة لمفهوم متكامل للتنمية من منظورحضاري)[1]؛ ومن أن المراد بالمنهج المقاصدي،القاعدة العلمية التي تستوعب نظرية الغايات المصلحية

التي جاءت الشريعة لتحقيقها في أفعال العباد بجلب النفع لهم أو الدفع الضرر عنهم، فإن **التطبيق المقاصدي عند الأستاذ** يكمن في إعماله الجيدللمنهج المقاصديلإيصال نظريته حول التطبيقالتشريعي للأحكام.

فبالاطلاع على آثاره كتابة وإلقاءً يُعثر له على شذرات مقاصدية، ممثَّلة في اجتهاداته في مسائل عن طريق إعماله للعقل ومراعاة الأحوال، وهي وإن كانت لا تصل بهإلى مكانة شيخٍ في علم المقاصد، لكنها لا تخرجه عن مجالها.

وهو يذكر أحيانا المقاصد صراحة وبلفظها قائلا: (هذه لمحة عن مفهوم العدالة في الإسلام نصا وروحا ومقاصد...)[2].

ويقول في مقام آخر: (إن الإسلام، بالعكس من هذه الإدعاءات، هو دين العدالة الاجتماعية الحقَّة كما طبقها خاصة الرسولﷺوالعُمَرَان[3]، وكما في الشريعة الإسلامية مقاصد ونظريات وتطبيقًا في العهود الزاهرة للإسلام، وما تزال صالحة

1- سيف عبدالفتاح، "نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي" الندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصدالشريعة الإسلامية،مجلة "الوعي الإسلامي"، الكويت .

2- مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم انفصالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، ج1/ص332.

3- والعمران:أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقيل:عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما؛...، قال الأزهري:

العمران أبو بكروعمر، غلب عمر؛ لأنه أخف الاسمين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، حرف "الراء"ج4/ص608.

اليوم وغدا، مع الاجتهاد ومراعاة الزمان والمكان وأخذ مصلحة الأمة في الدرجة الأولى بالاعتبار، وهو جوهر مقاصد شريعتنا السمحاء)[1].

إلى جانب تشجيعه على إعمال المصادر التشريعية الإسلامية ذات الصلة بالمقاصد، كالقياس والمصاح المرسلة والاستحسان والاجتهاد الفكري بأنواعه.وكونه مالكي المذهب – المذهب الذي يشتهر بفكرة المصالح وتنسب له– فإننا نلمس له ذلك التأثر.

وهو وإن لم يكن من المقاصديين إلَّا أنَّ شغفه بذوي الفكر المقاصدي منذ بدأ التشريع الإسلامي والاستشهاد بمواقفهم، جعله ذا ميل مقاصدي؛ ممثَّلا ذلك في إعجابه بأعلام الفكر المقاصدي من العلماء المسلمين بدءًا بالخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وما عرف عنه من سبقٍ لزمانه في مراعاة المقاصد والمآل، يقول في ذلك: (ما أروع تلك القاعدة الذهبية المنبئة عن عبقريتهم، والمتمثلة في الاستصلاح والاستحسان! وما أروعك يا عمر الفاروق قبلهم، وما أجلّكم أيها الأئمة الأجلاء بعده، وما أعظمك يا سيوطي في كتابك المشار إليه في بدء هذه الكلمة! وما أبلغ وأصدق عنوانه "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" ... لا لإغلاق الأبواب والنوافذ أمام مسيرة

الأمَّة حسب العصر، ... أقول هل عالم الأمس أقدر من عالم اليوم المماثل له في التخصص، والذي يزداد عليه في ميادين كثيرة، على القياس والاستنباط والنظر والاجتهاد ومعرفة مصلحة الأمة والفرد؟

لن يقول هذا إلا مكابر عنيد)[2].

ومن الأئمة المقاصديين المعاصرين نجده يُجِلُّ رمزهم الأوَّل ممثلا في الشيخ ابن عاشور (1879–

1– أصالية أم انفصالية، ج1/ ص341.

2– المرجع السابق، ص34–35.

1973م)، ومما يروى له في ذلك أنه قال: (لا حَظَّ لي أنني لم أدرس عليه بجامع الزيتونة)[1]، فهو يُجِلُّهكثيرا لعلمه ولحبه للجزائر والجزائريين.

كما كان من المشجعين على التفسير بالرأي، قال: (إن هناك تفاسير يجب أن تحرق لأنَّها تشل العقل، وتثير سخرية الأجانب وتشوه الإسلام، ولأن أصحابها جامدون متزمتون يجوز عليهم التيمم)[2].

وكانت له اجتهادات فقهية راعى فيها المقاصد والأحوال؛ منها دعوته إلى توحيد المناسبات الدينية بين الدول الإسلامية والحج والأهلة، فمن المواقف النادرة التي سيحفظها التاريخ له(أنه في عام 1972 عندما صدرت في الجزائر فتوى تقر بتعويض الرؤية الحقيقية بالرؤية الحكمية في هلال رمضان، أحدث القرار جدالا ونقاشا وقررت جامعة الدول العربية عقد مؤتمر في الكويت لمحاكمة هذا القرار بحضور وزراء الأوقاف والشؤون الدينية العرب، فألقى مولود قاسم كلمة هزت المؤتمر قال فيها:(بعد 14 قرنا من نزول "اقرأ" ها نحن أمة لا تقرأ ولا تحسب)فانقلب المؤتمر وهاج وماج وعقدت أربع لجان ومناقشات أفضت في النهاية إلى تبني مقترح الجزائر)[3].

ويسجل له أيضا فتواه في لحوم الهدي في موسم الحج[4]، قال: (يجوز دفع قيمة لحوم الهدي في موسم الحج نقدا لفقراء المسلمين، سواء كانوا من السعودية أو من خارجها، بدل دفنها في الأرض كونها زادت عن الحاجة واكتفى المحتاجون منها، مما تتسبب فيه من روائح كريهة بل وأمراض تلحق بالقاطنين جوار أماكن الدفن)[5].

1-محمد الصالح الصديق، ص110.

2-المرجع السابق، ص104.

3-زهية منصر،"الأمازيغي الذي خدم العربية مولود قاسم نايت بلقاسم"، منتديات وادي العرب الجزائري،http://www.wadilarab.com

4- مع ما اعترى هذه المسألة من أخذ ورد. انظر تفصيل ذلك في فتاوى الشيخ شلتوت، دار الشروق، ط1424/18هـ - 2004م، ص146إلى152.

5-سَمِعتُ الفتوى بصوته في برنامج عنه تحت عنوان:"مولود قاسم أصالة وانفتاح" إعداد: ذهبية دريج، انتاج المحطة الجزائرية2009م، بالقناة الخامسة "قناة القرآن الكريم" البرنامج أعيدت إذاعته بتاريخ 2013/12/28م.

وقد كتب الأستاذ وحاضر كثيرا حول ضرورة إعمال الفكر والعقل، وبيان مقاصد الشريعة الإسلامية التي يرمي إلى تحقيقها الدين الإسلامي.

وأخذا بتغَيُّر المصطلاحات المقاصدية التي صارت لها اطلاقات متعددة، فمن"حفظالدين" إلى "كفالة الحريات الدينية"، ومن "حفظ النفس" إلى "حفظ حقوق الإنسان"، ومن "حفظ النسل"إلى "حفظ الكرامة البشرية" أو"بناء الأسرة"، ومن "حفظ العقل" إلى"نماء الملكات العقليةوالفكرية"، ومن "حفظ المال" إلى"التنمية الاقتصادية".

أخذا بذلك تتضح لنا **الملامح المقاصدية في فكره** أيضا، أو **الفكر المقاصدي** لديه؛ أولًا بتتبع الكليات الخمس ومدى حفظها، ثم في باقي مقومات الفكر المقاصدي، كالتالي:

أولا: حفظ الدين:

يتجلى عنده في حرصه على إرساء أهم مقومات الدين الإسلامي:

أ)- حفظ وتمكين اللغة العربية واللسان العربي:

باعتبار اللغة العربية عمودا أساسيا لا يقوم صرح المقاصد إلا بها، كما يقول الإمام الشاطبي(ت790 هـ): (لأن لسان العرب هو المترجم عن مقاصد الشرع)[1]؛ وقال أيضا: (إن هذه الشريعة المباركة عربية لا مدخل فيها للألسن العجمية ... والمقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلبُ فهمِه إنَّما يكون من هذا الطريق خاصة،...، فمن أراد تَفَهُّمَه فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى تطلبِ فهمِهِ من غير هذه الجهة)[2].

وهذا ما يقرِّره قبله الإمام الشافعي(150-204هـ) في "الرسالة" فيقول: (فإن العرب فيما فُطِرَت عليه من لسانها تخاطب بالعام يُراد به ظاهره، وبالعام يراد به الخاص،

1- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت لبنان، شرح وتخريج عبد الله دراز،324/4.

2-المرجع السابق، 64/2.

والظاهر يراد به غيرالظاهر.وتتكلم بالكلام ينبئ أوَّلُه عن آخرِه، أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياءالكثيرة باسم واحد، وكل ذلك معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي ولا مَن تعلَّق بعِلم كلامها. فإذا كان ذلك فالقرآن في معانيه وأساليبه على هذا الترتيب، فكما أن لسان بعض الأعاجم لا يمكن أن يفهم من جهة لسان العرب كذلك لا يمكن أن يفهم لسان العرب منجهة لسان العجم لاختلاف الأوضاع والأساليب)[1].

واللغة العربية عند أستاذنا شعار الإسلام، وهي لا تنفصل عن الدينولا ينفصل عنها بل هي الدين بعينه، فقد نزل بها كتاب الله،قال تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون**[2]﴾؛وقال:﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[3].

وأصبح تعلمها ومعرفة قواعدها ومداركها فرضاً واجباً، بل هي أحد شروط الاجتهاد، لأنَّ فهم الكتاب والسنَّة ومعرفة أحكام الدين من الأمور المتعينة على المسلم عامة والمجتهد خاصة.

وهذا ما شدّد عليه الإمام الشاطبي فهو يرى أن المجتهد في الشريعة يجب عليه (أن يبلغ في العربية

مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل وسيبويه والأخفش والجرمي والمازني ومن سواهم)[4].

والأستاذ يقف على رأس هرم المدافعين وباستماتة على اللغة العربية، فهو الرجل الأمازيغي الذي خدم العربية كما لم يخدمها أحد، و دافع عن الإسلام الصحيح في صورته العصرية والمتفتحة داخليا وخارجيا، وعنده لا يتأتى ذلك دون لغة القرآن،

1- الشافعي،الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية لبنان، ص51-52.

2-سورةيوسف/02.

3- سورة الشعراء/195.

4-الشاطبي، الموافقات، 115/4.

لأجل ذلك كان حريصا كل الحرص على أن تستعيد اللغة العربية مكانتها ومركزها، لأنها قادرة على استيعاب كل العلوم.

قال: (اللغة ليست إلا الصورة الخارجية للتفكير والإحساس، فهي تلك الصورة التي تعطي محتواها لونا وشكلا وقواما. والإسلام نفسه يعترف بهذه القيمة الجوهرية للغة)[1].

وهو يدعو إلى تعريب الأمخاخ والقلوب: (إن اللغة ليست غاية في ذاتها،وإنَّما هي مجرد أداة للتمييز عما يتمخض عنه التفكيرالمنطقي أو تتدفق به الإحساسات والعواطف،أو بعبارة أخرى إن اللسان ليس إلا الصورةالخارجية للمخ والقلب منبعَيْ الأفكار والعواطف... ونعرف أيضا أن الاستعمار الفرنسي قد ترك وراءه سمومه التي حاولاجتثاث عناصر شخصيتنا، وعمل كل ما في وسعه لاستئصال روحنا ومسخ وإذابةذاتيتنا. وتجدر بنا الصراحة هناالاعتراف بأن هذا الاستعمار قد نجح مع الأسف،إلى حد كبير في هذا لدى طائفة منمواطنينا؛ فإن لم يكن في الميدان السياسي فعلى الأقل في المجالين العقلي والروحي فيمسخ العقول وغزو القلوب)[2].

أما عن تعريب الألسنة فقال: (الكلام عن تعريب الألسنة – بعد الكلام عن تعريب الأمخاخ والقلوب– لنرفع عن يتامى الثقافة المتفرنسين، المرض والشك في عِلمية العربية وقدرتها على التطور والتكيف والتعبير عن مختلف ميادين النشاط الإنساني)[3].

ولم يألُ جهدا في العمل على ترسيخ اللغة العربية نطقا وتطبيقا طوال حياته وكلما سنحت له الفرصة؛ من ذلك محاضرةألقاها عام 1968 في قاعة النفق الجامعي بعنوان "بيان إلى الأمة"وفيها تحدث عن دور اللغة وإشكالاتها الحضارية،

1–مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، دار الأمة، ط2–2007م، ص27، نقلا عن جريدة المجاهد الأسبوعينشرت في22 نوفمبر 1962.

2– المرجع السابق، ص19، نقلا عن جريدة المجاهد الاسبوعي،نشرت في15جانفي 1962.

3– المرجع السابق.

ومحاضرة تحت عنوان "الدين واللغة والتربية عند فيختة" ألقاها في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر[1].

وكنقطة من بحر إبداعه اللغوي أسوق له هذه الفقرة البليغة بناءً ومعنىً، قال: (فكم ممن هو في الغربة الروحية ثاوٍ، و نصيبه من فكر أهله ناقصٌ ذاوٍ، ولكلّ أصيل أصلي لديه شاوٍ، ولتراث وقيم أهله كاوٍ،

وللحقيقة والأصالة العنقَ لاوٍ، وإياهما من أمته بقصد أو عن سذاجة زاوٍ، لأنه لهما أبدًا غير حاوٍ، ولئن

كان منهما فهو فيهما ضاوٍ، و للغو الكلام عن الأغراب راوٍ، وبما لقّنوه من عُقد ضدّها عاو!)[2].

ويكفي مثالا على ولهه وولعه باللغة العربية أنه مات وفي قلبه غصّة على حال العربية، وكمدا على تعطيل قانون استعمالها في الجزائر، فكان مرسوم تجميد القانون بمثابة الرصاصة التي وجهت إلى قلبه، وعجّلت بإيقاف نبضحياته –رغم الإيمان الكامل بأن آجال العباد بيد الخالق سبحانه وتعالى، لا تقدّم ولا تؤخّر إلا بمشيئة الله وقدره– فالتحق بجوار ربه.

يروي ابنه يوغرطة نايت بلقاسم: (رأيت والدي في أسوأ حالاته عندما ألغي قانون استعمال اللغة العربية)[3].

وله مواقف كثيرة تؤيد ذلك مما يُروى عنه عند تناوله بالدراسة أو إحياء ذكراه أو التمثيل بفكره في ثنايا وصفحات الجرائد والمجلات والمنتديات، من ذلكأنه منع المراسلات الرسمية من غير العربية في وزارته "وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية".

1-انظر: مجلة "الأصالة"، العدد65-66، السنة الثامنة 1399هـ/1979م، ص106-116.

2- أصالية أم انفصالية، ص22.

3-جريدة الشروق الجزائرية، بتاريخ 2009/09/08.

وأنه كان يستهجن على الوزراء الفرنكوفونيين أثناء اجتماع مجلس الوزراء استعمال الفرنسية، ويسجل له هنا موقف شجاع:فبعد أن قدّم غالبية الوزراء تقاريرهم باللغة الفرنسية، وجاء دور الأستاذمولود فخاطبهم باللغة الألمانية التي يُتقنها فبهتوا وبان على وجوههم الاستغراب، فصارحهم قائلا: (الأصل أننا في دولة تتبنى اللغة العربية لغة رسمية والواجب أن نتكلم بها رسميا، أما إذا كان الأمر اختيارا وحُباً فأنا أحب الألمانية وأتكلم بها)[1].

وموقف آخر سُجّل له أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي عندما تحدث مندوب إيران بالفارسية، فأوقفه مولود قاسم بقوله:(أعلم بأنك تتقن العربية، فإن لم تحدثنا بها فوالله سأحدثكم بلغة لا تجدون لها مترجما؟ وسئل في آخر الجلسة عن هذه اللغة التي لا ترجمان لها، فقال: إنَّهاالأمازيغية)[2].

ب)- الحث على التمسك بالدين:

لأن الأستاذ عاش الفترة الممتدة بين 1927 و1992م، أي فترتي الاستعمار والاستقلال للجزائر، والتي تعرضت فيها الجزائر لكل أشكال الإخضاع العسكرية والثقافية من طرف المستعمر المتفوقعسكريا وسياسيا واجتماعيا وعلميا، فإن كل ذلك ألقى بظلاله على ما كان يكتبه ويناقشه من قضايا وهو في صفوف الحركات الوطنية الطلابية والجهادية التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الدين والوطن بكل الأساليب المتاحة.

في هذا السياق والصراع بين حضارتين جاءت انتاجات الأستاذالتي حاول من خلالها إظهار الوجه

1-الطيب آيت حمودة،"مولود قاسموأبناء مازيغ"، الحوار المتمدن-العدد: 3475 - 2/9/2011.

2- المرجع السابق.

المشرقللشريعة الإسلامية التي تعرضت للهجوم من طرف الغرب ومن طرف الفرنكوفونيين من بني جلدتنا الذين علّمهم الاستعمار في جامعاته.

وهو يقرر ما تميز به الإسلام من خصائص أهمها العالمية، قال: (هذا هو الإسلام، كردي وأمازيغي وتركي وعربي،.... خيرالدّينالتّركي، "اليوناني الأصل"، ومحمد بن عثمان الكُردي، ويوسف بن تاشفين أوعبد المؤمن، وطارق الأمازيغي، ومحمود الغزناوي الأفغاني، وموسى بن نصير وعقبة بن نافع العربيان. هذا هو الإسلام، هذا هو ثراء الإسلام، هذا هو غنى الإسلام، هذه هي ميزة الإسلام)[1].

وقال: (إن الأصالة ليست الانغلاق والتجمد، بل هي بقاء الإنسان هوهو مع الاستفادة من احتكاكه بالغير، ومسايرته الركب الإنساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته، ويتناغم مع مكونات شخصيته، إذ بتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهماته للفكر الإنساني والحضارة العالمية. فبقدر بروز إنيتنا وقوة أصالتنا إذن تكون لنا شخصيتنا بين الأمم، ويتضح تميزنا في المجال الدولي وتبرز مساهمتنا في المجهود البشري العام)[2].

والحل عنده من المشاكل التي تكبل المسلمين تكون بالرجوع إلى الدين، قال:(فلن ينقذ عالم الإسلام إلاّ الرجوع إلى إسلامه، و لن تكون نهضته بإستسلامه، الذي هو ربّما أغلى أحلامه)[3].

ثانيا: حفظ النفس:

1-أصالية أم إنفصالية، ج1، ص191.

2- إنية وأصالة، ص10-11.

3- أصالية أم إنفصالية، ج1،ص22.

يتمثل حفظ كلية النفس في فكر أستاذنا، في حثِّه على تحقيقها من ناحية العدم عن طريق الجهاد بالنفس والاستماتة من أجل الوطن، وإن كان الكلام الذي سيساقفي هذه النقطة فيه حفظ للكلية السابقة (الدين) أيضا، لكن سوقه هنا أولى.

فقد كان الأستاذ مولود قاسم يتمتع بحس ووعي ديني وسياسي كبيرين منذحداثة سنه، بدعوته إلى التضحية في سبيل الدين والوطن في كتاباته المتعددة، والتي تحتوي على رمزيات وأفكار ثورية وتحررية تخيلت استقلال الجزائر بفضل تضحية الشعب الجزائري وجهاده في سبيل الحرية والسيادة بسنوات قبل تحققه.

من ذلك ما كتبه وهو لا يزال في السنة الأولى ثانوي بتونس سنة 1948 في مقال تاريخي له عنونه

بـ"نتيجة الصبر والكفاح"، مما قال فيه: (... أخذ العدو يهين الكرامات ويحرق الديار وينتزع الأموال، فلم يطق الصبر أولئك الوطنيون فشمروا على ساعد الكفاح والنضال وجاهدوا طيلة سنين عديدة. ولم يركنوا إلى الاستسلام الكلي، بل أخذوا يثورون في كل مناسبة، ولا يسكن البعض في ناحية من نواحي الوطن حتى ترى الآخرين في ناحية أخرى يضرمون نار الثورة... وثاروا على العدو طلبا لحريتهم واستقلالهم، وانفجر بركان الثورة يرسل شظاياه إلى قلوبوجباه المغتصبين واندلع لهيبها يلتهم جوانبهم ... وبفضل ما أظهره أولئك المجاهدون منالاستماتة والاستبسال في ساحة الجهاد، كانت نتيجة الكفاح القومي وثمرة الجهاد الوطني ... وذلك كله هو الشعبالجزائري في أطوار كفاحه...)[1].

وهو يرى أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا حقَّق مكانته كفرد في مجتمعه، ثم ساهم في أن يدفع بمجتمعه إلى مصاف الدول.

ثالثا: حفظ النسل:

1- مولود عويمر، "مولود قاسم والمقال الأول"، الأصالة تجديد ورسالة (موقع الكتروني).

لقد قرَّر العلماء أنَّ من الضروريات والمقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية، حفظ النسلوحفظ النسبوحفظ العرض[1]، وأن هذه الضروريات مهمَّة لحفظ الجنس البشري، وأنَّها من أسباب عمارة الأرضوبقاء الأمم عزيزة الجانب محفوظة الكرامة تصون أعراضها وأنسابها. وهذه شعارات لم يملّ أو يكلّ الأستاذ من تكرارها وترديدها في كل حال وحين وكلما سنحت له الفرصة.

فهو أول الرافضين للمصطلح "استعمار" لأنه من العمران، وفرنسالم تعمِّر، بل دمّرت الشعب الجزائري، فاستبدلها بـ"استدمار".

وهو يحث على القيم الإسلامية التي تحفظ العرض قائلا: (إنَّ الإسلام ثورة شاملة لمختلف نواحي النشاط الإنساني بما يشمل عليه من قيم ومعان ويحمله من روح لا تكتفي بالترقيع والتصليح، وإنَّما تتوق دوما إلى التغيير الجذري...)[2].

وقد كان له موقف صارم من مسألة تحديد النسل: (إن الدعوة إلى التحديد دعاية استدمارية بحتة فعلا، لأن البلاد الغربية يخافون من هذا المليار من المسلمين أن يصبح مليارين أو ثلاثة، وإذ ذاك ماذا يحدث؟ ... ، نحن في الجزائر اتخذنا موقفا رسميا في الداخل وفي الخارج ضد تحديد النسل... نرى
أنّ هذا التحديد خطأ كبير جدا...)[3].

1- ترد العبارات "النسل" و"العرض" و"النسب" للتعبير عن مقصد ضروري واحد غالبا، لكن التفرقة بينهم تكمن في: حفظ النسل فهو الذي
يؤدي إلى حفظ الجنس البشري من الانقراض، وأما حفظ العرض فهو الذي يحافظ على المجتمع المسلم نظيفا خاليا من الأمراض الجسدية
والأخلاقية. وحفظ النسب الذي يساعد على ربط أفراد المجتمع بروابط حقيقية وصحيحة تضمن أن يبقى أعضاؤها محصنين بحصون القرابة
الصحيحة حتى لا يدخل في حصنها المصون أي دخيل لا يحمل نسبها ، وحتى لا يخرج منها من لا ينسب إليها بالنسب الشرعي الصحيح.

2- إنية وأصالة، ص211.

3- انظر: أصالية أم إنفصالية، ج1، ص393-394-395.

وحفاظا على العرض أولى الأستاذ المرأة عناية كبيرة بالإشارة والتأليف، باعتبارها الإناء الحاوي
للنسل والمدرسة الأولى لكل جيل، من ذلك قوله:
(إن المرأة في نظرنا، وفي نظر كل ذي عقل سليم وأدنى مستوى من الثقافة، هي حامية التقاليد
والعمود الفقري للأسرة، وهي القاعدة الأساسية للمجتمع وخليته الأولى، وأية حياة أخلاقية أو منحلّة
في الأسرة والمجتمع تعود بالدرجة الأولى إلى سلوك المرأة)[1].
ومن جهة محاربة المسخ والفسخ والنسخ والانفصالية في مجال الأخلاق العامة والبناء الاجتماعي للأمة وعلاقة الجنسين فيما بينهما، فقد تصدى لتداخل مفاهيهم الحرية والمساواة بين الجنسين إلى الوصول إلى تناسي وظائف كل طرف على حدة، فيقول في ذلك: (عندما تسترجل النساء، ويتخنث ويتأنّث الرجال، فتنعكس الأدوار، وتقع الكارثة)[2].

وليس أدلّ على حفظه لهذه المقاصد الضرورية (الدين والنفس والنسل معا) قولا وفعلا، قيامه بكفالة ثمانية أطفال، فالمعروف عنه أنه لم يرزق إلا بولد واحد؛ ولأنَّ كفالة اليتيم مطية للجنة ومرافقة النبيﷺ في أعلى درجات الخلد وفي ذلك **حفظ للدين**من أوسع أبوابه؛ وحماية هؤلاء المكفولين من الهلاك أولى طرق **حفظ النفس**؛ وتجنيبهم الضياع والتدنيس هو **حفظ للنسل** بعينه.

رابعا: حفظ العقل:

تميز الأستاذ بتعابير ابتكرها ليتلقاها من جاء بعده، من ذلك، الثالوث اللفظي المتجانس: الجمودوالهمود والخمود، ويضيف لها أحيانا: الركود واللاهوت

1- إنيّة وأصالة، ص134.
2-أصالية أم إنفصالية، ج1، ص140

والكهنوت، والتخلف والظلمة والاختناق، والتقليد والتقوقع والتزمت، والانزواء والانكماش والانغلاق، والفسخ والمسخ والنسخ، وكلها مصطلحات مضادة للعقل الذي يوليه الإسلام عناية كبيرة، فهو وسيلة التكريم الإنساني ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**[1]﴾، وهو "مناط التكليف".

والنصوص القرآنية تحث على تشغيل العقل فيما أنيط به بإعماله في مجالاته الشرعية، لتحقيق الاستخلاف وما ينتج عنه من عبادة وعمارة.

وذلك عن طريق التدبر والتفكر، هذه الوظيفة العقلية التي جعلها الله عبادة قرينة للذكر، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[2].

يقول الأستاذ في ذلك: (إنّ الإسلام دين النظر والرؤية والفكر، وإنّ الآيات التي تدعو إلى استعمال العقل تتجاوز الخمسين، والتي تدعو إلى السير في الأرض للنظر والتذكر والتفكر لا تكاد تحصى)[3].

وكل من بحث في فكر الأستاذ،تبنى فكره ورده، من ذلك القول:(الكسل والسلبية والتواكل والبطالة، كلها مرادفات لكلمة الجمود، لأن الجمود إمساك عن العمل ورضاء بالموجود، ودخول في عملية الاستهلاك دون الانتاج، الذي يحتاج إلى إعمال العقل والفكر وعدم تعطيله، والوقوف دون أداء وظيفته الإبداعية والابتكارية، وحجره والاستسلام والخمود لحياة الراحة)[4].

و كان الأستاذ رافضا لكل انحراف عقلي أو انزلاق له، كاستلام ميراث الآباء والأجداد دون تمحيص أوغربلة، أو التقليد الأعمى للآخر دون تحقيق للهوية

1-سورة الإسراء/70.

2-سورة آل عمران/191.

3-إنيّة وأصالة، ص212.

4- بوعلام جوهري، البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، دار الخلدونية ط:1433هـ/2012م،ص74.

والشخصية، أوطمس للعقل، قائلا: (كان الإسلام ثورة على الجمود والركود، وعلى التقليد والتبعية العمياء، وكم نعى في آيات متعددة على الذين كانوا يقولون: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُون**﴾[1] ،... .

وشُبِّهوا في القرآن بالذي ﴿**يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُون**﴾[2])[3].

ويقرُّ مقربوه، كالأستاذ محمد الصالح الصديق أطال الله في عمره (ولد عام 1925)، أن الأستاذ كان محبا للتعليل (ميالا إلى تتبع الأشياء متدبرا في العلل والأسباب حتى يصل إلى الحقيقة، ... ، فإذا عجز هذه المرة أيضا حاول أن يفترض تعليلا قريبا من المعقول)[4].

خامسا: حفظ المال:

يعد الاقتصاد الجزائري من أولى اهتمامات الأستاذ، فهو لا يفتأ يدعو إلىكرامةالإنسان التي لا تتحقق عنده إلا بالحفاظ على العدالة بنوعيها الاجتماعية والاقتصادية، عن طريق حسن التسيير وتوزيع الثروات ومراقبتها.

قال مرة على أحد منابر ملتقى الفكر الإسلامي وهو يرد على من يرمي الإسلام بالتخلف: (إنَّ الإسلام ليس كما يظن البعض من الأعداء الحاقدين والإخوة الجاهلين أوالمتجاهلين، دينا يضرب صفحا عن الجانب الاجتماعي والاقتصادي، ولا أداة للاستغلال والاستعباد، بل هو دين العدالة الاجتماعية الحقَّة، التي تضمن إذا ما طبقت حقا وصدقا، الرفاهية الاقتصادية للجميع، مع الحرية واحترام الكرامة الإنسانية)[5].

1- سورة الزخرف/23.

2-سورة البقرة/171.

3- إنيّة وأصالة، ص212.

4-محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص37.

5-أصالية أم إنفصالية، ج1، ص102-103.

وهو يحذِّر من الخطر الذي سينجم عن إغفال هذه الثنائية- العدالة الاجتماعية والاقتصادية- والذي سيصيب الفرد والمجتمع، متوعدا مذكِّرا بالنصوص القرآنية والنبوية، فقال: (إذا كان الذي يدّع

اليتيم ولا يحضُّ على طعام المسكين مُكذَِبا بالدين، وكان الذي يبيت شبعان وجاره جائع، غير مؤمن بالله واليوم الآخر، فأي مجتمع يقول عن نفسه إنَّه مسلم ولا يحقق هذا العدل، ليس له من الإسلام إلا الاسم)[1].

ويواصل مجاهدا في سبيل الفرد الجزائري أولا، ثم المجتمع ثانيا قائلا: (إذا استمر انعدام هذه العدالة الاجتماعية بينهم، وفصلوا المسجد عن المَزرع، والمصلّى عن المتجر والمصنع، وكانوا بذلك يُراؤونويمنعون الماعون، فويلٌ ثم ويل في هذه الدنيا قبل الآخرة، حتى إذا لم يكونوا من الذين هم عن صلاتهم ساهون)[2].

وهو يوضح أن سبل تحقيق تلك الرفاهية تكون بالعمل والسعي وراء الرزق وتحقيق الاكتفاء الذاتي، لا التسول والتبعية، قال: (إنَّ العمل عبادة، وهو ضروري للأمَّة. والأمة الإسلامية الآن تشتري أسلحتها من الغرب والشرق، وهي متوقفة على هذا مع الأسف)[3]، وهو يشير إلى أسباب التبعية والفقر: (الفقر بسبب الكسل والخمول لا تشمله هذه العدالة، لأن الإسلام لا يقرهما، ولا يجوز لأحد التسول، إذ يمنعه الإسلام منعا باتا، وعلى المحتسب أن يأمر المتسوِّل القادر على العمل، وإلا عزّره، حتى يقلع، ولا يشجع الإسلام روح الاتكال على الغير، والاستكانة إلى الزوايا والتكايا)[4].

1-أصالية أم إنفصالية، ج1ص317.

2-المرجع السابق، ص337.

3- المرجع السابق، ص370.

4- المرجع السابق، ص318- 319.

- وتكملة لما سبق وسيرا على خطى العلماء المعاصرين كالشيخ ابن عاشور في بحثهعنالمقاصد، منأنَّها تعنى إضافة إلى حفظالضرورات الخمس؛ تُعنى أيضا بمقاصد أخرىأهمها:

المُساواة، والسَماحة والتيسير ،والحُرية...والشيخ يوسف القرضاوي الذي قال:(وهناك مقاصد أومصالح ضرورية لم تستوعبها هذه الخمس المذكورة. من ذلك: ما يتعلق بالقيم الاجتماعية، مثلالحرية، والمساواة، والإخاء، والتكافل، وحقوق الإنسان. ومن ذلك ما يتعلق بتكوين المجتمع والأمةوالدولة)[1].

فما مساحة تلك المعاني عند الأستاذ مولود؟

أ)- المساواة:

عند حديثه عنالانتساب للعروبة أنكر ذلك، واعتبره صنيعة عروبية، فالإسلام عنده خلقنا متمايزين، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[2].

وقال مبررا: (فلو كان ما يقال صحيحا لما حافظ بلال على حبشيته،ولا صهيب على روميته، ولا

سلمان على فارسيته، ولا نزلت الآية الخامسة من سورة الأحزاب تحرم التبني﴿**ادْعُوهُمْلِآبَائِهِمْ هُوَأَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيما**﴾[3]،وهي الآية التي استرد بهازيد بن محمد لقبه الأصلي الحارثي،زيد بن حارثة، فهل آن الأوان للأمازيغ أن يستردوا أمازيغيتهم كما استرد زيد حارثيته؟)[4].

1- انظر: دراسة في فقه مقاصد الشريعة، دار الشروق، ط2008/03م، ص28.

2-سورة الحجرات/13.

3-سورة الأحزاب/05.

4- أصالية أم إنفصالية، ج1، ص191.

ويؤكد ذلك مبينا بأنها إرادة الإسلام (هذا هو الإسلام،... كردي، وأمازيغي، وتركي، وعربي،... هذا هو الإسلام، هذا هو ثراء الإسلام، هذا هو غنى الإسلام، هذه هي ميزة الإسلام)[1].

ب)- السماحة:

من المعاني الإسلامية ذات البعد المقاصدي السماحة والعفو واليسر، قال تعالى :﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[2]وبعث الله محمداﷺبالحنيفية السمحة.

والأستاذ عرف بالتزامه الشرعي قلبا وقالبا، فقد اجتمع فيه رحمه الله ما يندر أن يجتمع لأحد من أبناء عصره؛ من تكامل الشخصية، ومحاسن الشيم، ومكارم الأخلاق، وسائر الصفات الحميدة؛ فقد كان شعلة نشاط لا تنضوي في سبيل كل ما يعلي كلمة الله تعالى.

ويروي عنه رفقاؤه مواقف عديدة تدل على ذلك، منها أنه (... كان ميالا إلى خدمة الناس ونفعهم وحل مشاكلهم، والرأفة بهم، وقد رأيته يعطف على الفقراء والمعوزين، ويحاول التخفيف عنهم وكم مرة يثير غضبه سلوك شخص ما، فيشتد هيجانه ويعتزم عقابه، وإذا سكن غضبه وهدأت أعصابه، ونظر بعين العقل، عفا عن المسيء، بل ربما أحسن إليه كما وقع له ذات يوم مع شرطي أساء إليه الأدب في ثنية بني عيشة، وهو لا يعرفه ولما تمكن من عقابه عن طريق المحافظ السياسي رق له وسامحه وأحسن إليه)[3].

ج)- الحُرية:

1-المرجع السابق.

2-سورة البقرة/185.

3- محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص27-28.

لقد كان الأستاذ عاشقا للحرية صادحا بها، الحرية بكل أنواعها في الفكر والاعتقادوالعمل.

فحريةالفكروالاعتقاد عنده تعني التحرر من الخرافات والأوهام التي أضافها الإنسان لدين الفطرة في غيبة من عقله؛ وحرية العمل تعني الالتزام بقواعده وسلوكياته الشرعية.

الحريةالتي هيحق كفله الله تعالى لكل المخلوقات، وأقرها المسلمون قانونا إنسانيا منذ بدء التشريع، حتى صارت قانونا يُردَّد أطلقه الفاروق عمرﷺ، الذي يتأثر به أستاذنا كثيرا فكرا وعملا، وهو القائل: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

فكيف بأستاذنا الذي عايش وعانى ويلات المستدمر! لذلك كان لا يضيع الفرصة للتغني بها، من ذلك احتفاؤه بها في شكل مقال بمناسبة الذكرى العشرين لثورة نوفمبر، عنونه بـ"للأم أيامها" مما جاء فيه: (لحقب التاريخ آلامها وأميالها، وللأمم فيه أيامها ولياليها، ...، وإذ تحتفل الجزائر بالذكرى العشرين لبدء المرحلة الأخيرة من كفاحها التحريري، الذي استعادت به استقلالها وسيادتها بين الأمم،...، سلام عليك أيتها الهجرة الحديثة في الخالدين، وما أشبهك بهجرة الأمس البعيد! وما أشبه دورك في كفاحنا التحريري بذلك النور الذي ارتد من تضاريس الحبشة إلى بطحاء أم القرى، دار الإسلام! أم لم يطلع "النجم" من غربك؟ و ألمْ يجد "الشعب" متنفسا في أعماقك؟ وألم ينطلق "الانتصار" معك؟ ...، وإيه نفامبر، لقد غطيت على يوليو وأكتوبر، فبوركت من شهر أهلَّ إذ بك الشعب حريته استأهل. ... وإيه مناضلي وجنود المقاومة والتحرير من أحياء الدارين، ذكروا في كل فاتح نفامبر الأسلاف بأن بلادهم قد وضعت حدا لاستعبادها واستغلالها، باستعادة حريتها واستقلالها...)[1].

1- انظر: المرجع السابق، ص51-52.

تلك معاني استشفت من مباني أسسها الأستاذ المفكر الفذ الجزائري العصامي، الذي غادرناجسدا لكن لا زال يثبت وجوده فكرا وعلما، فمثَّل بحق لبنة أساسية في صرح البناء الفكريالجزائري.

ومهما دُوِّن في حقه فإن الأقلام لن ترفع في شأنه والصحف لن تجف، وسيل الكتابة عنه لن يتوقف جريانه بحثا وتنقيبا في آثاره بأقلام أطياف شتى، شيوخا وأساتذة وتلامذة... .

كما أنّ الشهادة له بالنبوغ والبراعة في كل مجال اقتحمه لم يتوان كل من عرفه بالإدلاء بها، من مشايخ درَّسوه كالشيخ محمد الطاهر آيت علجت–أطال الله في عمره–، وأصدقاء عرفوه كمحمد الصغير بلعلام وعبد الحميد مهري وبوعلام بن حمودة وأحمد بن نعمان و محمد الصالح الصديق...، وتلامذة جالسوه أو عاصروه بالاجتهاد في حماية ما تركه من زاد فكري متمثّل في عشرات الكتب والمقالات والدراسات والصور...،أو بإحياء ذكراه كلما حانت المناسبة، مؤكّدين على مساعيه المخلصة في الدفاع عن اللغة العربية وهموم الأمة الإسلامية،رادّين على الكتابات المشككة في نضاله الكبير رحمه الله.

لقد كان الأستاذ (عبارة عن موسوعة، ودائرة معارف بحالها في كل علم وباع وطرف، وفي كل رصيد)[1]، كما شكّل ثورة محرِّكة لجمودورتابة العقل المسلم عامة والجزائري خاصة، بسبب التآكلالداخلي في بلاد المسلمين والواقع السياسي المريض،والتراكمات الاستعمارية والهيمنةالتوسعية الغربية في العالم العربي عامة والمغرب الإسلامي خاصة.فكان الهدف الأول له تطهيرهمن المعلوماتالزائفةالتي كبلته عن فقه سنن الله تعالى في الأنفسوالآفاق.

هذا الوزير بما حباه إلهه قهر الصعاب بعزمه الغلاب

1-يحيى بوعزيز، أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر المحروسة، ج1/ص271.

اسموه "مولودا" فأصبح والدا لمئات آلاف من الطلاب
ركب العزيمة في مدى غاياته فأتته خاضعة إلى الأعتاب
فشعاره (وقل اعملوا) ومناره من أخلصوا للواحد الوهاب
ليت البلاد الأخريات يغيرها منكم نجاح فاق كل حسا ب

فجمع فكر الأستاذ بين الأصالة والمعاصرة،الدين والدنيا، الالتزام والابتكار، التوقف والتفتح، والتعبد التقصيد.

وأُنهِي بحثي هذا، والذي لم يتناول سوى جانبا من جوانب حياة وسيرة وفكر"الدَّا المولود" كما يحب أن يناديه مقربوه، هذا "الرجل الفذ"، "الرجل الظاهرة"– كما يطلق عليه الأستاذ محمد الهادي الحسني (المولود عام1947م)–؛ أختمه بهذه الأبيات الشعرية التي قالها فيه الشيخ الدكتور مصطفى أحمد الزرقا، وهي[1]:

الخاتمة:

وهكذاوبعد هذاالجهد المتواضعالذي أدليت من خلالهبرأيي، وشاركت فيه غيري الإعجاب
بهذاالرمز المسلم الجزائري، أرجو أن أكون قد أجبت ولو جزئيا على الإشكال المطروح في
المقدمة: هل كان الأستاذ ذا فكر مقاصدي؟

❖فكانت **النتائج** المتوصل إليها كالتالي:

– أن الأستاذ ليس من زمرة المقاصديين كالشاطبي وابن عاشور والريسوني، ولكنه أدلى بدلوه ولو عن

1– محمد الهادي الحسني، نجوم ورجوم، دار الشروق الجزائر، ط2012/01، ص80.

غير قصد، في كل ما يعود على الإنسان المسلم عامة والجزائري خاصة، بالنفع والفائدة في

الدارين. فهوكعادته أينما حلّ أبدع كالغيث أينما وقع نفع، فهو وإن لم يتخصص في المقاصد إلَّا أنَّه

حام حولها.

– أن أفكاره الممَثَّلة في الثروة التي تركها كتابة وإلقاءً تحوي الكثير من العبارات المقاصدية صراحة

وتلميحا.

– أن الأستاذ كان محبا لعلماء المقاصد، داعيا إلى إعمال العقل والتعليل ومراعاة المصلحة.

– أن الكثير من الآراء التي صدح بها، والأفكار التي نادى بها لقيت وتلقى الرواج والتأييد، ما تحقق

منهاتحقق وما لم يتم ينتظر، فكان بحق سابقا لعصره.

❖ومن**التوصيات** التي أرى ضرورة لفت الانتباه إليها:

– مواصلة البحث في شخص وفكر هذا الرجل الجهبذ، لاستخراج تلك الجواهر التي يزخر بها بحر أفكاره.

– اتخاذ منهجه التفكيري أسلوبا ونموذجا يحتذى به في المنهجية والتدريس، للخروج من بعضالمعضلاتالتي يعانيها الهيكل الجزائري تربويا وتعليميا وتحكيميا.

تغمده الله بواسع رحمته، وحشره مع الأنبياء والصديقين، وكتب له أجر ما ظل يدافع عنه طوالحياته

المراجع المستعملة:

1– القرآن الكريم.

2– بوعزيز يحيى، أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي لبنان، ط1995/01م.

3– جوهري بوعلام، البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم، دار الخلدونية،

ط:1433هـ/2012م.
4- محمد الهادي الحسني، نجوم ورجوم، دار الشروق الجزائر، ط01- 2012.
5- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت لبنان، شرح وتخريج عبد الله دراز.
6- الشافعي،الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية لبنان.
7- الصديق محمد الصالح، خواطر وذكريات ومواقف وشهادات، دار الأمل، ط2.
8- القرضاوي يةسف، دراسة في فقه مقاصد الشريعة، دار الشروق، ط2008/03م.
9- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، دار الأمة، ط2-2007م.
10- مولود قاسم نايت بلقاسم، أصالية أم انفصالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر.
11- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
12- مجلة "الأصالة"، العدد65-66، السنة الثامنة 1399هـ/1979م.
13- جريدة الشروق الجزائرية، بتاريخ2009/09/08.
14- الطيب آيت حمودة،"مولود قاسموأبناء مازيغ"، الحوار المتمدن-العدد: 3475- 2/9/ 2011.
15- سيف عبدالفتاح، "نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي" الندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة "الوعي الإسلامي"، الكويت.
مولود عويمر، "مولود قاسم والمقال الأول"، الأصالة تجديد ورسالة (موقع الكتروني).
16- زهية منصر، "الأمازيغي الذي خدم العربية مولود قاسم نايت بلقاسم"، منتديات وادي العرب الجزائري، المصدر: http://www.wadilarab.com
17- ذهبية دريج، "مولود قاسم أصالة وانفتاح" ، انتاج المحطة الجزائرية 2009م، بالقناة الخامسة "قناة القرآن الكريم" البرنامج أعيدت إذاعته بتاريخ 2013/12/28م.